

نقد المقاومة الفلسطينية . . . وموضوعة الحزب والنظرية الثوريين

سعيد جواد

الحزب الثوري أم المقاومة المسلحة أولا ؟ هذا السؤال الكبير قفز الى المقدمة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وكانت الاجابة عليه من أبرز المعضلات التي واجهت حركة التحرر الوطني الفلسطينية . ولقد استأثرت هذه المعضلة بأوسع الحوارات وأكثرها أهمية حول طبيعة العلاقة بين المقاومة المسلحة والحزب ، وأي المهتمين تتقدم على الأخرى . ويتصاعد حركة المقاومة وتأكيد حضورها وفعاليتها العسكرية والسياسية كنتيجة حتمية للظروف التي خلقتها هزيمة حزيران وانهيار الأنظمة والجيوش المهزومة **ارتدت الى الوراء موضوعة اسبقية الحزب الذي يقود المقاومة المسلحة** ، لتقدم الموجة الثورية الصاعدة جوابا للمناقشات النظرية حول هذه المسألة وتحسمها . عندها ، صعدت موضوعة **بناء الحزب الثوري من خلال تصعيد وتعميق حركة المقاومة المسلحة** واكتسابها مضامين طبقية وفكرية متقدمة .

الا أن نكسة معارك أيلول والردة الإيديولوجية التي أعقبتها ، ولا تزال ، وعلى امتداد فصول الانحسار المؤقت — وهذا ليس جديدا في تاريخ الثورات — جعلت أصوات عشرات المثقفين البرجوازيين ومن مواقع مختلفة ترتفع بدءا من « اطروحات » الياس مرقص حول فشل المقاومة وحرب الشعب واستبدالها بدور الجيوش العربية النظامية ، مرورا بكتابات العفيف الأخضر عن المجالس العمالية التي تقفز من فوق حاضر حركة المقاومة وواقعها وشروطها الشديدة الخصوصية ، وهي في الوقت نفسه تستنكف عن الخوض بالمعضلات الجدية الآنية التي تواجهها ومرورا كذلك بجميع العناصر التي « تدعي » الماركسية ، بعد ان وضعت نفسها خارج حركة المقاومة ، ونصبت من نفسها وصية عليها ، وأخيرا محاولة صادق العظم « النقدية » التي لن تكون الأخيرة . وهذه المحاولة رغم طابعها العام كمحاولة تقييم نقدية ، وانطلاقها من مواقع مختلفة عن الكثير مما سبقها ، واتسامها بقدر من الموضوعية في نقد بعض الظواهر المرضية التي رافقت حركة المقاومة ، إلا ان انتقائيتها الصارخة ، والنتائج العملية التي تترتب على استنتاجاتها النهائية (والعبرة بالنتائج) **يجعلها تلتقي مع جميع المحاولات التي سبقتها** ، وتحديدًا هي تلتقي معها في **إعدام الفصول الحاضرة من هذه المرحلة التاريخية** . وهذه الفصول ستتترك آثارها الواضحة والعميقة ، ليس على حركة التحرر الوطني الفلسطينية فحسب ، بل على مجمل حركة التحرر الوطني العربية بفصائلها الديمقراطية والثورية ومستقبلها .

ان ما يميز هذه المحاولة هو : (١) ربطها التعسفي بين **خسارة معركة** ، ونهاية دور **قيادة سياسية وطنية ذات طبيعة ومهام طبقية وفكرية محددة لا تزال في مواقع وأشكال** نضالية ثورية تجعلها تحتفظ بكامل شروط استمرارها ما دامت تقاوت وترفض التسويات